

## جذور الجهاد المقدس في فلسطين

بقلم : الدكتور غريب جمعة  
(القاهرة)

قد يحسب البعض أن انطلاقة الجهاد الإسلامي ضد إخوان القردة والخنازير في فلسطين المحتلة وليدة اليوم ، ولكن الذي يقرب في صفحات التاريخ يجد أنها ضاربة بجذورها في أعماقه ، وكيف لا تضرب بجذورها في أعماق التاريخ ، وهي تنطلق من عقيدة المسلم حينما يستباح جاهه ، ويرغم على الخروج من أرضه وداره ، ويفتن في دينه ، ويسفك دمه ، ويضيق عليه ، لكي يعطى الدنية من نفسه صاغرا .

لكن الشرفاء الذين تمتلئ قلوبهم يقينا بالله ، يستجيبون لداعي الجهاد ؛ لأنهم لا ينامون على ضيم ، ولا يتناقلون إلى الأرض ؛ إذا قيل لهم : انفروا في سبيل الله لانتظارهم إحدى الحسينين : النصر أو الشهادة . أما الذين يرضون بالحياة الدنيا من الآخرة ، ولسان حاتم يقول :  
خلق الله للحروب رجالا \* وخلقنا لقصة وثريد !!

أما هؤلاء فلا هم لأحدهم إلا أن يعيش حياته بين ردائه وخذائه ، يسيل لعابه على جاه يتمناه ، أو مال يتشاهه ، أو ماخور يعشاه ، ثم ينادى بتحرير الأرض ، وهو يرقص على مزامير الشيطان ، وهل ينجح في تحرير أرض من قبضة عداه من لم ينجح في تحرير نفسه من قبضة هواه ؟

وإليك أخي القارئ بعض الوقائع من جهاد أولئك الشرفاء ، التي سطرها التاريخ بحروف من نور ، ليسير على دربهم الذين يشرون الحياة الدنيا بالآخرة ... و هؤلاء هم جند الله الذين كتب لهم الغلبة في قوله

تعالى : ﴿ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [الصفات/١٧٣] .

### يقول التاريخ :

وضعت الحرب الكونية (العالمية) الأولى أوزارها ، وجاء الإنجليز بعدها إلى فلسطين ، وهم يحملون دهاءهم ومكرهم وعزمهم على خدمة اليهود وفاء بما قطعه وزير خارجيتهم على نفسه من وعد مشئوم سمى باسمه ، وهو وعد بلفور عام ١٩١٧م بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين .

وأحس عرب فلسطين أن الخطر بدأ يحدق بهم في صورة تزايد أعداد اليهود ، وتملكهم للأرض بأية وسيلة ، واحتلالهم للوظائف الحكومية بنسب عديدة تنذر بالشر ، وعندئذ سقط قناع الجبن ، والذلة و الضعف عن الخلق اليهودي ؛ فظهر على حقيقته ، وهي البطش والانتقام والولوغ في الدماء ؛ والخسة ؛ والنذالة ؛ واغتصاب مال غير اليهودي ، وأرضه وعرضه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً .

ولم يقف شرفاء العرب إزاء هذا الموقف مكتوفي الأيدي حسبهم البكاء والعيويل وندب الحظوظ العوارض

ولكنهم وقفوا وقفة الأبطال في وجه هذا الخطر في صورة وقائع وثورات إنجائية سلمية تارة ودموية تارة أخرى ، وقد بدأت هذه الوقائع منذ عام ١٩٢٠م ، وإليك نبذة مختصرة عنها هي كالدليل إن عجزنا عن التفصيل .

أولاً : تحرش اليهود بالعرب في موسم النبي موسى ، وذلك بمدينة القدس في شهر أبريل عام ١٩٢٠م ، وأدى ذلك إلى حدوث اضطرابات قتل فيها عدد كبير من اليهود ، وترتب على ذلك محاكمة زعماء هذه الواقعة ، وقد حُكم على سماحة مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني رحمه الله بالسجن عشر سنين ، كما حكم بالسجن خمسة عشر عاماً على الزعيم

اليهودي جابوتنسكي إلا أن الأوامر صدرت من لندن بعدم حبسه مما أرغم المندوب السامي هربرت صموئيل عند تسلم منصبه على إلغاء الحكم الصادر على سماحة المفتي .

ثانياً :

قام اليهود بمظاهرة في عام ١٩٢١م للتحرش بالعرب أدت إلى اضطرابات استمرت خمسة عشر يوماً ، ونتج عنها مقتل عدد كبير من اليهود ؛ ومن العرب ، وقد سافر على إثر تلك الاضطرابات وفد عربي إلى لندن برئاسة السيد/موسى كاظم الحسيني ، ولكن الوفد لم ينجح في مساعيه لكي تسمع الحكومة البريطانية المتواطئة مع اليهود صوت عرب فلسطين .

ثالثاً :

حدثت اضطرابات في القدس في الثاني من نوفمبر عام ١٩٢١م ، وجاءت بعدها حوادث يافا في مارس عام ١٩٢٤م .

رابعاً :

حدثت اضطرابات في أغسطس عام ١٩٢٩م ، وقد استمرت ستة عشر يوماً ، وعمت جميع أنحاء فلسطين ، وقتل فيها حوالي ٢٠٠/ من اليهود أكثرهم في الخليل والقدس ويافا ، وكان سبب هذه الاضطرابات هو اعتداء اليهود على البراق الشريف ، ومحاولاتهم الدائبة لتغيير الوضع الراهن بالنسبة إلى الحقوق المكتسبة التي نص عليها صك الانتداب "مادة/١٣" ، وأرسلت الحكومة البريطانية لجنة للتحقيق في أسباب هذه الأحداث ، وقد سميت هذه اللجنة باسم رئيسها وترشو ، وهي خطة معروفة لدى البريطانيين ، حينما يضطرب جبل الأمل في البلاد لتجديراً ، الشعب الناقم الثائر ، وقد افتتحوا مسلسل تلك اللجان منذ عام ١٩٢٠م . تلك اللجنة المسماة : لجنة "هايكرافت" ، ثم لجنة شرهه ، ولجنة

سمسون في سنة ١٩٣٠ م ، ولجنة بيل ١٩٣٦-١٩٣٧ م ، ولجنة وود هود  
... إلخ .

تري .. هل اختلف الأمر في الوقت الحاضر أم أن مسلسل اللجان  
والوسطاء من الشرق والغرب ، والشمال والجنوب ؛ لا يزال مستمرا ؛  
حتى يتم تجميع القضية الفلسطينية ، وقبول الأمر الواقع شيئا فشيئا .  
خامسا :

ثم كانت ثورة الشيخ عز الدين القسام يرحمه الله في الثاني من  
نوفمبر عام ١٩٣٥ م التي تحولت إلى حركة عصيان مسلح ضد حكومة  
الانتداب البريطاني ، وضد اليهود ، وفي الخامس والعشرين من نوفمبر  
طوقت قوات ضخمة من الجيش البريطاني ذلك البطل ورفاقه في غابة يعبد  
بقضاء حنين ، فنال شرف الشهادة ، ومعه نفر من رفاقه المجاهدين ، وتم  
القبض على عدد كبير من الأبطال الشرفاء حكم عليهم بالسجن مددا  
مختلفة .

### سادسا - الثورة الكبرى :

أدرك العرب أن الإنجليز الكاذبون في وعودهم ، وأنهم ماضون في  
سياسة تموييد البلاد وبيعهم ، وبيع وطنهم إلى مجرمي اليهود من مختلف  
أنحاء العالم ، فلم يجدوا أمامهم إلا أن يحملوا السلاح ، وقد بدأ ذلك عام  
١٩٣٦ م ؛ واستمر حتى عام ١٩٣٩ م ، وكان سبب هذه الثورة هو  
تحرشات اليهود بعرب يافا الذين ردوا بقوة على العدوان اليهودي ،  
فنهزعت القوات البريطانية لحماية اليهود ؛ والبطش بالعرب كالعادة ،  
فأحزب سكان يافا احتجاجا على ذلك ، وشمل الأحزاب جميع أنحاء  
فلسطين ودعت "اللجنة العربية العليا" التي شكلتها الأحزاب الفلسطينية  
حين ذاك إلى استمرار الأحزاب ؛ حتى تجاب مطالب الشعب ، وتوقف  
افجرة اليهودية ، وتشكل حكومة دستورية تمثل الشعب الفلسطيني بأكثرية

ولم يقف الأمر عند حد الإضراب الذي أصاب جميع مرافق الحياة بالشلل التام ، بل تحولت الثورة إلى حرب عصابات أفزعت الإنجليز ، وانتشر الفدائيون في كل مكان ، ونصبوا الكمائن للإنجليز واليهود ، ونجاوب المتطوعون مع إخوانهم في فلسطين ؛ فجاءوا على هيئة قوات من سوريا والعراق بقيادة فوزي القاوقجي ، فأسقط في يد الإنجليز ، وقاوموا هذه الثورة بمشهد أكثر من ٧٢/ ألفاً من الضباط والجنود بالإضافة إلى قوات البوليس البريطاني واليهودي ، وقوات حدود شرق الأردن ، وجيش الجنرال "جلوب" ، ومن سخرية الأقدار أن ذلك الجيش كان يطلق عليه الجيش العربي !!

وقد نصر الله الثوار الشرفاء في معظم المعارك التي حاضوها ، وفشلت هذه القوات بقضها وقضيضها في إخماد نيران هذه الثورة التي كلفت الفلسطينيين تضحيات جسيمة من العتاد والمال والرجال ، فقد استشهد أكثر من ثلاثة آلاف محارب ، وجرح أكثر من سبعة آلاف ، واستشهد من الشيوخ والنساء والأطفال أكثر من ثمانية آلاف !! وزج الإنجليز بحوالي ألفين من الشباب العربي في معتقلاتهم .

ولما أيقن الإنجليز بعجزهم عن مقاومة هذه الثورة عسكرياً لجأوا إلى المكر والخديعة والدسائس ، فأقنعوا ملوك العرب بالتوسط لإخماد الإضراب ، ووقف هذا التيار الجهادي الجارف ، وأعدوا بالنظر في مطالب العرب .

وفي الحادي عشر من أكتوبر عام ١٩٣٩م أصدر ملوك العرب وأمرؤهم في السعودية والعراق والأردن واليمن ؛ البيان التالي :

إلى أبنائنا عرب فلسطين ، لقد تألمنا للحالة السائدة في فلسطين ؛ نحن بالاتفاق مع ملوك العرب وأمرائهم ندعوكم للإحلال لنسكية حقاً

للمدء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ، ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل !! وثقوا بأننا سنواصل السعي في مساعدتكم .  
وانتهى الإضراب وكانت وعود بريطانيا مواعيد عرقوب !!..  
لأنه لا وفاء لكذوب ، وإن أحسنت به الظن ؛ وجعلته ضمن الأصدقاء التقليديين .

ولعلك ترى أخي القارئ أن هذه الوقائع كانت قبل حلول النكبة الكبرى أي قبل صدور قرار تقسيم فلسطين بين العرب واليهود .  
سابعاً : وافقت هيئة الأمم المتحدة في ٢٩/نوفمبر عام ١٩٤٧ م على مشروع تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، وهذا يعني قيام دولة يهودية في قلب الوطن العربي تكون مصدر خطر وتهديد للعرب جميعاً بكارثة محققة ، وقد عارضت الحكومات العربية ذلك المشروع ، ولكن معارضتها ذهبت أدراج الرياح حيث أجمع الغرب على الجور والعدوان ما دام لمصلحة سادته من اليهود ، أما العرب فليذهبوا إلى الجحيم .  
وما كادت تمضي بعض الأشهر على قرار التقسيم حتى هب عرب فلسطين الشرفاء للدفاع عن وطنهم ، ومواجهة العدوان اليهودي بأقوى منه ، وشكلوا "قوات الجهاد المقدس" بقيادة الشهيد البطل عبد القادر الحسيني الذي نال شرف الشهادة في معركة القسطل في السابع من أبريل عام ١٩٤٨ م قبل أن يرى ذبح وطنه فلسطين أمام عينيه .  
وقد قامت تلك القوات بأعمال بطولية لفتت أنظار العالم ، وزلزلت أركان الكيان اليهودي في فلسطين ، وكان من أكبر الأعمال التي قامت بها نسف الوكالة اليهودية في الحادي عشر من مارس عام ١٩٤٨ م ، وتدمير شارع بن يهودا في أول فبراير من نفس العام حيث تقع عمارة جريدة الباستاين بوسست اليهودية ، وضيق الأبطال الشرفاء الخناق على اليهود الجبناء ، وأحكموا السيطرة على الطرق والمواصلات ؛ فأصابوا

حركة النقل اليهودي بالشلل ، وعزلوا منطقة القدس ، وفيها أكثر من ١٢٠ ألف يهودي ، وسيطروا على منطقة باب الواد أيضا ، ولاح في الأفق بوادر هزيمة محققة لليهود مما دفع مندوب أمريكا في الأمم المتحدة إلى المطالبة بوقف قرار التقسيم في مارس عام ١٩٤٨ م ، ووضع فلسطين تحت وصاية دولية بعد العجز عن مواجهة جيش الجهاد المقدس في معارك شريفة ، ولكن بريطانيا خادمة سادتها من اليهود بادرت إلى القيام بأعمال إجرامية في غاية الخطورة ، وقد ساعدت تلك الأعمال على رفع معنويات اليهود وترجيح كفتهم ، ومن أخطرها على سبيل المثال :

١- تسليم مدينة حيفا لليهود في الحادي والعشرين من أبريل عام ١٩٤٨ م قبل مجيء موعد إخلائها في أول أغسطس من نفس العام ، ولم يمكنوا العرب من عمل التحصينات والدفاعات اللازمة بحجة أن الجيش البريطاني هو المسئول عنها ، وفي الوقت نفسه تأمروا مع اليهود ، وتركوا العصابات اليهودية تفتك بالأحياء العربية في غفلة منها ، وبعد أن اطمأنوا إلى انهيار خطوط الدفاع العربية توسطوا لتنظيم عملية التسليم والتهجير ؛ حيث أشرفوا على تهجير أكثر من ١٠٠ ألف عربي من حيفا وضواحيها ، ومن سخريات الأقدار أن القائد البريطاني الذي سلم حيفا لليهود ؛ هو الذي قاد القوات البرية الإنجليزية إبان العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ م ، وهو الجنرال ستكويل .

٢- تسليم مدينة يافا وضواحيها في ٢٤/ أبريل عام ١٩٤٨ م . وكانت هذه المدينة تعتبر شوكة في جنب الصهيونية ، ودارت معركة غير متكافئة بين العرب واليهود لم تدم سوى أيام تزح بعدها عرب يافا . والقرى المجاورة منها ، ونجح الإنجليز في تسليم المدن العربية إلى اليهود خالية من سكانها وفق سياستهم المرسومة خدمة لليهود .

٣- تسليم مدينتي صفد وطبرية لليهود قبل نهاية فترة الانتداب مقبرة

في ١٥/مايو ١٩٤٨ م ، وقد أدت تلك الخيانة إلى ضعف الجبهة العربية ، وتقوية العصابات اليهودية المجرمة التي تسلمت معسكرات كاملة بأسلحتها وذخائرها من الإنجليز ليفتكوا بالعرب العزل من السلاح بعد فشلهم في مواجهة جيش الجهاد المقدس في معارك شريفة مكشوفة .

هذه مجرد نماذج من جهاد الشرفاء المقدس الذين رفعوا رايته منذ زمن بعيد لتعلم - أخي القارئ - أن موكب ذلك الجهاد لا بد أن يظل متواصل الخطوات قوى العزمات عظيم التضحيات ، واثقا من أن يوم يكون جند الله - بحق - فسيحقق له وعد الله بالغلبة على الأعداء ، ومن أوفى بعهده من الله ؟

أما الدعاوى التي تصل الآذان بغير الجهاد في سبيل الله ، فقد أثبتت الأيام أنها أضغاث أحلام ، وأن حديث السلام مع هؤلاء اللئام هو حديث الأوهام .

والمستجير بخصم عند كربته \* كالمستجير من الرمضاء بالنار و لتعلم أيضا أن ما أشبه الليلة بالبارحة !! إذ أن خدمة الأمريكان ومساعدتهم لسادتهم من اليهود لم تختلف عن خدمة الإنجليز الذين سبقوهم على طريق العبودية لليهود إلا من حيث الوسائل فقط ، فلكل زمان وسائله ، ولكن الهدف واحد .

هذه كلمة فؤاد مكلوم .. لا يملك إلا الكلمة ، ولسان حاله ؛ قول القائل :

لا خيل عندي أهديها ولا مال \* فليسعد النطق إن لم تسعد الحال

= من أراد المزيد من التفاصيل ؛ فليقرأ :

١- خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية للقائد عبد الله التل يرحمه الله وقد أفادنا كثيرا .

٢- القضية الفلسطينية لأكرم زعير .

٣- المؤامرة الكبرى لأميل الغوري .